"ثقافة التدوين التاريخي في البحرين خلال الربع الأول من القرن العشرين"[90]

شهدت البحرين في مطلع القرن العشرين حراكاً ثقافياً واسعاً، انعكس بصورة واضحة على الإنتاج الفكري والفني والأدبي، حيث ظهرت الأسماء الكبيرة في مجال الشعر والأدب وعلى رأسها اسم الشاعر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة والشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، كما شهدت تلك الفترة تأسيس نادي إقبال أوال بالمنامة سنة 1913، وتأسيس النادي الأدبي بالمحرق سنة 1920. وتزامن التطور الأدبي مع نهضة تعليمية تمثلت في ظهور المدارس الحديثة بديلاً عن الكتاتيب؛ حيث تأسست مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق سنة 1919، ثم افتتحت مدرسة ثانوية أخرى في المنامة برعاية اللجنة الأهلية المشرفة على التعليم. وقد أذنت هذه التطورات الثقافية الكبرى بظهور بواكير الحركة الوطنية سنة 1919، والتي تأسست بجهود الشيخ عيسى بن علي في مواجهة الأطماع البريطانية التي حاولت إحكام السيطرة على إيرادات الجمارك ومحاولة فرض قانون المستعمرات، حيث دفعت هذه التحديات بالمثقفين للعمل على ترسيخ هويتهم الوطنية، وساد الشعور في الأوساط السياسية والثقافية بأن حركة التحديث هذه يجب أن تتزامن مع حركة موازية تهدف إلى ترسيخ تراث البحرين وتحديد معالم هويتها الثقافية والتاريخية، فظهرت مجموعة مؤلفات رائدة في تاريخ البحرين، أهمها:

- محمد بن خليفة النبهاني؛ **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، الذي يتناول تاريخ البحرين حتى عام 1922.[91]
- ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري؛ **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، الذي يتوقف عند أحداث سنة 1923.[92]

---

[90] نشر هذا البحث في: **مجلة ثقافات**، العدد 21، يناير 2008، جامعة البحرين.

[91] محمد بن خليفة النبهاني (1932) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، المطبعة المحمودية، القاهرة. وقد صدر لدار إحياء العلوم ببيروت بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين طبعتان من الكتاب: الطبعة الأولى عام 1986، والطبعة الثانية عام 1999. وصدرت طبعة رابعة للكتاب عام 2004 للمؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين.

[92] ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري (2003) **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، تقديم ودراسة عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.

- محمد علي التاجر؛ **عقد اللآل في تاريخ أوال**، الذي يتوقف عند أحداث سنة 1923 مع بعض التعليقات على أحداث تصل إلى عام 1932.[93]

ويحاول هذا البحث إلقاء الضوء على هذه المصنفات التاريخية الثلاثة باعتبارها تمثل جزءاً لا يتجزأ من الحراك الثقافي الذي شهدته البحرين خلال الربع الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال تتبع الظروف التي ظهرت فيها هذه المؤلفات، والمقارنة بينها لتحديد معالم تطور التدوين التاريخي بالبحرين، ومن ثم تناولها بالبحث والمقارنة.

= محمد بن خليفة النبهاني؛[94] **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**:

على الرغم من أن مؤلف **التحفة النبهانية**، لم يكن من أهل البحرين إلا أن مادته التاريخية قد اعتمدت بصورة أساسية على الروايات الشفهية التي حصل عليها من السكان المحليين، حيث قدم للمرة الأولى إلى البحرين سنة 1332هـ/1914م، ومكث فيها لمدة شهرين وبضعة أيام في ضيافة الحاكم الشيخ عيسى بن علي الذي طلب منه أن يدون تاريخ البحرين مع التركيز على فترة حكم آل خليفة، وقد لبى المؤلف هذا الطلب فاتصل بأعيان البحرين، ودون الكثير من المعلومات التاريخية التي أمليت عليه من قبل علماءها، كما أشار إلى ذلك معاصره راشد بن فاضل البنعلي في كتابه: **مجموع الفضائل**.[95] وغالب الظن أن النبهاني كان قد أعد مسودة قبل قدومه عن جغرافية البحرين وتاريخها الإسلامي، ومن ثم أضاف إليها ما أملي عليه في تاريخ البحرين الحديث، وانتهى من تصنيف الكتاب في 12 ربيع الأول 1332هـ/9 فبراير 1914م، وأسماه: **النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة**، ولكنه عندما رحل إلى العراق لطباعته أشار عليه صديقه أحمد جودت (صاحب جريدة المنير البصرية) أن يتوسع في كتابه ويجعله تاريخاً عاماً لجزيرة العرب،

---

[93] محمد علي التاجر (1994) **عقد اللآل في تاريخ أوال**، إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.

[94] محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني، من طيء، مالكي المذهب، ولد ونشأ في مكة المكرمة، له عدد من الكتب في التاريخ وفي غيره من العلوم، منها: **مؤنس العزب، تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب**، و**قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار**، و**التذكرة النبهانية**. توفي سنة 1950. انظر: خير الدين الزركلي (1986) **الأعلام**، ط7، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، ص 116.

[95] راشد بن فاضل البنعلي (2001) **مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل**، تحقيق حسن بن محمد بن علي آل ثاني، بدر للنشر، بيروت، ص. ص 57، 68، 77.

فاستحسن النبهاني هذا الرأي، وأضاف إلى كتابه مادة أخرى حول تاريخ الجزيرة العربية وسماه: **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، ومع ذلك فقد طبع الجزء الخاص بالبحرين بعنوانه القديم، ثم أعاد طباعته مرة أخرى ضمن **التحفة النبهانية**، بعد أن أعاد تنسيقه وتطويره وتصحيح أخطاء الطبعة الأولى، حيث زار المصنف البحرين خمس مرات خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 1914 و1921، وأورد في كتابه بعض الإشارات إلى ما وقع من أحداث سياسية خلال الفترة الممتدة ما بين إعداد المسودة الأولى من الكتاب والنسخة المعدلة التي أنجزها سنة 1921.[96]

ويقع القسم الخاص بالبحرين في **التحفة النبهانية** في حوالي 140 صفحة، يمكن تقسيمها على النحو التالي:[97]

أ- وصف جغرافي شامل للجزر، في 40 صفحة.

ب- تاريخ البحرين منذ دخولها في الإسلام، في 27 صفحة.

ج- تاريخ البحرين منذ تولي آل خليفة الحكم فيها عام 1783 حتى عام 1922، في 73 صفحة.

وتأتي أهمية الكتاب من حيث أنه يعتبر أول جهد لتدوين تاريخ البحرين في القرن العشرين. وحيث أن كاتبه لم يمكث في البحرين أكثر من شهرين وبضعة أيام خلال إعداد المسودة الأولى للكتاب، فإن مادة الكتاب تعتمد بصورة رئيسة على شهادات المعاصرين من أهل البحرين الذين أملوا عليه المادة الخاصة بالفترة الحديثة والمعاصرة، بحيث يمكن اعتباره ممثلاً للرواية الرسمية في تاريخ البحرين الحديث. وقد اعتمد النبهاني في المقدمة الجغرافية للبحرين والتاريخ الإسلامي لها على مجموعة من المعاجم اللغوية مثل القاموس المحيط وتاج العروس، وعلى بعض المصنفات الجغرافية كمعجم البلدان لياقوت، كما رجع في قسم التاريخ الإسلامي إلى أمهات كتب التراث؛ حيث نقل عن ابن حجر العسقلاني، أما في التاريخ الحديث فقد نقل عن بعض مصنفات القرن التاسع عشر، حيث أشار إلى **سبائك العسجد** لعثمان بن سند البصري،[98] وإلى كتاب التحفة الحليمية لعبد الحليم الفارسي.

---

[96] انظر على سبيل المثال ما أورده المصنف تحت عنوان "شذرات"، من **التحفة النبهانية**، مصدر سابق، ص.ص 152-153.

[97] تم الرجوع في هذه الدراسة إلى طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين سنة 2004.

[98] عثمان بن سند البصري (1897) **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، بومبي.

ولم يقتصر النبهاني فيما دونه على هذه المصنفات، بل اعتمد على المشاهدة والمعاينة في ما نقله عن المواضع الجغرافية والمواقع الأثرية وفي وصفه لمهنة الغوص، حيث يكرر من ذكر عبارة:

"وقد رأيت ما ذكرته بعيني".[99]

وعندما يتحدث عن مسجد الخميس يقول:

"فوصلته وصعدت المنارة الغربية وكتبت اسمي نحتاً في أعلى حجر في داخلها، ووجدت عد درجها إلى الدائر الثاني مائة درجة."[100]

وكذلك لدى حديثه عن تاريخ ترميم قلعة البحرين المنحوت على أسوار القلعة سنة 994هـ/1586م، يقول:

"ورأيت هذا التاريخ بعينيّ مكتوباً في أربعة مواضع من القلعة."[101]

وعلى الرغم من إشارة المصنف إلى رجوعه إلى بعض المادة الوثائقية التي أتيحت له من: "سجلات دار الإمارة المخزونة في دار الأسفار"، إلا أنه لا يورد الكثير من المادة الوثائقية أو يحيل بعض الأرقام التي ذكرها في ثنايا كتابه إلى مصدر محدد.[102] أما في سرده لتاريخ البحرين تحت حكم آل خليفة فإن المصنف يعتمد التاريخ الشفهي حيث أشار في مقدمة كتابه إلى أنه استفاد من روايات:

"سمو العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، وحضرة بدر العلماء وفخر التجار فضيلة الشيخ عبد الله بن سعد بن شملان."[103]

كما تعرض في كتابه للعديد من الروايات التي نقلها عن شيوخ آل خليفة أثناء استضافتهم له خلال زياراته للبحرين، ويظهر أثر هذه الروايات بصورة واضحة على سرده للمعارك التي وقعت خلال فترة حكم آل خليفة للبحرين.

وعلى الرغم من أهمية **التحفة النبهانية** كأحد مصادر تاريخ البحرين الحديث إلا أن مصنفه قد تعرض للانتقاد بسبب إعراضه عن ذكر تاريخ البحرين

---

[99] محمد بن خليفة النبهاني (2004) مصدر سابق، ص. 21.

[100] المصدر السابق، ص 33.

[101] المصدر نفسه، ص 33.

[102] يورد المصنف جملة أرقام حول إيرادات البحرين من اللؤلؤ بالمقارنة مع الأقاليم المجاورة من خلال الرجوع إلى مادة وثائقية ولكنه لا يذكر مصدرها، انظر المصدر السابق، ص.ص 13-14.

[103] المصدر السابق، ص 11.

القديم، حيث إنه لم يلتزم بما أورده في مقدمة كتابه التي ذكر فيها بأنه صمم على: "نشر مجمل تاريخها القديم ومفصل تاريخها الحديث"،[104] ولكنه في الحقيقة لم يؤرخ إلا للمرحلة الإسلامية والحديثة؛ حيث يبدأ القسم التاريخي من كتابه في السنة الثامنة للهجرة، ولا يعرض للحديث عن التاريخ القديم إلا من خلال حديثه عن المدافن القديمة، بل إن سرده التاريخي لأحداث الفترة الإسلامية والتاريخ الحديث قد جاء مختصراً بصورة مخلة؛ فلم يذكر الحكم العباسي للبحرين وتملك القرامطة فيها إلا من خلال فقرات مقتضبة تنقصها الدقة، وتتطلب المزيد من التفصيل. ونتج عن هذا الإيجاز المخل وقوع المصنف في جملة من الأخطاء العلمية؛ فعندما يتحدث عن سكان البحرين سنة 1921 يقدر تعدداهم بحوالي 300 ألف نسمة،[105] علماً بأن أول تعداد سكاني في البحرين سنة 1941 أثبت بأن عددهم يبلغ 89970 نسمة، ولا شك بأن مجموع السكان قبل عقدين من ذلك سيكون أقل بكثير مما أورده النبهاني.

أما في القسم المتعلق بحكم آل خليفة في البحرين، فقد انتُقدت **التحفة النبهانية** لتغليب المادة المتعلقة بالمعارك، دون تفصيل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال تلك الفترة، مع أن الكثير من المادة كانت متاحة للمصنف آنذاك من خلال روايات بعض معاصري أحداث القرن التاسع عشر، ولكنه اختار سرد تاريخ البحرين الحديث من خلال جملة المعارك التي وقعت في تلك الفترة مما ساعد على إعطاء انطباع سلبي حول أحداث القرن التاسع عشر.

ويبدو أن منهج الكاتب في تغليب الاختصار على التفصيل قد أثر على مادة كتابه حول أحداث القرن العشرين، فعندما يعرض المصنف للحديث عن تطور الحركة الوطنية في البحرين، وجهود الشيخ عيسى بن علي في مقاومة الأطماع البريطانية، يختزل النبهاني أسباب التحرك الشعبي ضد بريطانيا سنة 1911 بقوله:

> "وفي سنة 1329 أمر معتمد بريطانيا بمنع بيع السلاح والرقيق في البحرين فهاجت الأهالي وماجت."[106]

ولعله من غير الإنصاف اختزال دوافع تحرك رموز التيار الوطني بقيادة الشيخ عيسى بن علي في معارضتهم قرار بريطانيا منع تجارة السلاح والرقيق، فقد صدر هذا المنع في القرن التاسع عشر، وكانت الحركة الوطنية تدافع عن هوية البحرين وسيادتها واستقلالها في وجه العديد من الإجراءات الاستعمارية التي حاولت بريطانيا فرضها على أهل البحرين.

---

[104] المصدر السابق، ص 10.

[105] المصدر السابق، ص 40.

[106] المصدر السابق، ص 152.

على أن هذه الملاحظات يجب أن لا تدفعنا إلى أن نبخس النبهاني حقه، فقد كان جهده رائداً في مجال التدوين التاريخي في البحرين إبان مطلع القرن العشرين، وقد نجح في استنهاض همم المؤرخين المحليين للقيام بجهود مماثلة تهدف إلى استدراك ما أغفله النبهاني في تاريخه، ولا تزال **التحفة النبهانية** تعد ضمن أهم مصادر تاريخ البحرين الحديث حتى يومنا هذا.

= ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري؛[107] **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**:

لاحظ ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري، انعكاسات الإيجاز المخل على مادة **التحفة النبهانية**، فعكف على تصنيف كتابه **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، بهدف تفصيل ما أوجزه النبهاني ولتقديم وجهة نظر أكثر محلية حول تاريخ البحرين، حيث استهل الخيري كتابه بالتعليق على **التحفة النبهانية**، قائلاً:

> "فلما تصفحته بعد طبعه في بغداد ألفيته غير واف بالمراد وغير خال من أغلاط أدت إليها العجلة التي قيل هي من الشيطان، وطالما كانت التواريخ مزلة الأقلام ومزلقة الأقدام، ومطلق الكمال لمن تفرد بالجلال".[108]

---

[107] ولد ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري عام 1876، ودرس في بداية حياته في الكتّاب، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد بن مهزع لدراسة اللغة العربية وعلوم الدين، ثم التحق بمدرسة الإرسالية الأمريكية بالمنامة في بداية تأسيسها سنة 1894، واستمر فيها لمدة ثلاث سنوات تعلم خلالها اللغة الإنجليزية وتخرج منها وعمره 22 سنة تقريباً، وفي عام 1903 عمل كاتباً لدى التاجر المعروف الحاج عبد الله بن جمعة الإبراهيم، ثم التحق بالعمل لدى الشاعر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، وكان من نتيجة انخراطه في العمل مع الشيخ محمد زيادة اهتمامه بالثقافة والأدب حيث كان أحد مؤسسي نادي "إقبال أوال" بالمنامة سنة 1913، وفي عام 1918 تم توظيفه في بلدية المنامة، ثم اختاره الوكيل البريطاني المعتمد كلايف ديلي للعمل في قسم القضايا الخاصة بالقضاء المدني في دار الحكومة، ولم يمنعه ذلك من الاستمرار في اهتماماته الثقافية حيث أسهم في تأسيس "النادي الأدبي" بالمحرق سنة 1920، وكان له مراسلات مع مشاهير عصره مثل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والأستاذين فارس نمر ويعقوب صروف صاحبي مجلة المقتطف، واستمر في العمل بدار الحكومة حتى عام 1924 عندما لازمه المرض الذي توفي بسببه عام 1925، لمزيد من التفصيل انظر: مبارك الخاطر (1982) **ناصر الخيري الأديب الكاتب**، وزارة الإعلام، البحرين، ص.ص 17-20.

[108] ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري (2003) **قلائد النحرين في تاريخ البحرين**، تقديم ودراسة عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين. ص 6 من المقدمة.

ونتيجة لذلك فقد حرص الخيري على أن يقدم تاريخه بمنهجية مختلفة عن سابقه، حيث عمد إلى تفصيل تاريخ البحرين القديم والإسلامي والحديث، ومن ثم التعليق على أحداث التاريخ فيما يتوافق مع واقعه المعاصر، كما بذل جهداً ملحوظاً في تحقيق قدر أكبر من التوازن بين الأطوار التاريخية التي مرت على البحرين، واجتهد في الحصول على مادة أكثر توثيقاً وحداثة لتصنيف تاريخه، قائلاً:

> "ويعلم الله كم عانيت في إيجادها من تعب، وكم تكبدت في تنقيحها من نصب، وكم جاهدت في استخراج حوادثها من مظانها الموثوقة ومصادرها المعتمدة، وكم سهرت على تصفح الكتب والمجلدات للوقوف على الأخبار الصحيحة والروايات المعتبرة الوثيقة".[109]

ويظهر أثر الجهد الذي بذله الخيري بصورة واضحة في هوامش **قلائد النحرين** التي أحالت إلى عدد أكبر من كتب التاريخ القديم، والمعاجم اللغوية والموسوعات العامة، والمجلات العلمية والوثائق ومصادر التاريخ الشفهي، بالإضافة إلى ملاحظاته الخاصة ومشاهداته، وذلك من خلال زيارة المدافن والمواقع التاريخية، وإجراء بعض الحفريات الأثرية بصحبة المنقبين. وعلى الرغم من ذلك فإنه يؤخذ على **قلائد النحرين** عدم الإشارة إلى المصادر إشارة كاملة إلا نادراً.

وقد بقي كتاب **قلائد النحرين** مفقوداً لفترة طويلة من الزمان، حيث تحدث المؤرخ البحريني مبارك الخاطر عن مسودة هذا الكتاب:

> "التي لم نعثر عليها حتى الآن رغم ما بذلناه من جهد ووقت في سبيل ذلك، ولم نجن غير القول بأن ناصر قد كتبها وأودعها لدى السيد علي بن خليفة الفاضل الذي غادر بها إلى الكويت خوفاً من وقوعها بيد المستشار بلكريف.. وقد أودع علي بن خليفة الفاضل هذه المخطوطة إلى صديقه وزميله في الكفاح الشاعر محمد الفرج، الذي نقله في جملة ما نقله بعد خروجه من البحرين أواخر عام 1928 إلى القطيف ثم إلى الكويت."[110]

وفي مطلع القرن الواحد والعشرين تمكن الباحث السعودي عبد الرحمن الشقير من العثور على كتاب **قلائد النحرين** لدى عائلة الفرج في الكويت، حيث تبنت مؤسسة الأيام طبعه بخط مؤلفه سنة 2003، وتجدر الإشارة إلى أن النسخة التي تم نشرها هي النسخة التي قام المؤلف بتبييضها بناء على مسودة سابقة تقع في 140 صفحة.

---

[109] المصدر السابق، ص 5 من المقدمة.

[110] مبارك الخاطر (1982) مرجع سابق، ص 19.

وقد قام عبد الرحمن الشقير بدراسة قيّمة لظروف نشر الكتاب، مشيراً إلى أن النسخة المبيضة قد جاءت في 437 صفحة موزعة على ثلاثة دفاتر، إلا أنها قد خلت من المقدمة وبعض الملاحق التي تمت إضافتها إلى الكتاب من المسودة. ويقع الكتاب في جزءين:

- الجزء الأول: يقع في 177 صفحة تناول فيه المؤلف جغرافية البحرين (الإقليم) وتاريخها القديم والإسلامي، وتم الفراغ منه في 18 شعبان 1342هـ (1923م).
- الجزء الثاني: يقع في 260 صفحة مع الملاحق، ويتناول تاريخ البحرين (الجزر) منذ العصور القديمة وحتى عهد الشيخ عيسى بن علي، ومن ثم يفرد فصلاً قصيراً عن مدن البحرين وقراها وملحقاً عن تاريخ الدول المجاورة وبعض علماء البحرين وأدبائها.[111]

ويتميز مصنف **قلائد النحرين** بتركيز الخيري على تفصيل الأحداث بصورة أكبر ووقوفه على تاريخ البحرين القديم والإسلامي والحديث بصورة أكثر توازناً من سابقه، حيث توسع في القسم الجغرافي، ثم أسهب الحديث في تاريخ البحرين القديم ابتداء من الفينيقيين ومن ثم البابليين والآشوريين والحميريين والساسانيين، قبل أن يفصل في التاريخ الإسلامي ويذكر ولاة البحرين في العهد الراشدي والأموي والعباسي، و من ثم دولة القرامطة والزنكيين والعصفوريين، وصولاً إلى التاريخ الحديث الذي يقدم فيه الخيري مادة تتميز بشموليتها ودقة تفصيلها.

وبالإضافة إلى رجوعه لكتب التراث الإسلامي امتاز ناصر الخيري باعتماده على مصادر أكثر عصرية من النبهاني فنقل عن بحوث ودراسات تاريخية في العديد من المجلات العلمية كمجلة المؤيد ومجلة الهلال ومجلة الهداية ومجلة المقتطف، كما استفاد من بعض المصنفات الأجنبية ومن أبرزها كتاب بينيت: **بلاد العرب الجنوبية**، ورجع إلى مادة وثائقية نقلها من: "التقارير السنوية الإنجليزية لسنوات 1907-1912."[112]

ولم يقتصر الخيري على سرد الأحداث فحسب، بل قام بالتعليق عليها مقارناً بين أحداث الماضي مع واقع عصره، ومن ذلك انتقاده لعزوف عامة الناس عن العلم

---

[111] انظر تقديم عبد الرحمن الشقير لكتاب ناصر الخيري (2003) مصدر سابق، ص.ص أ-ع.

[112] يمكن ملاحظة رجوع المصنف إلى مادة وثائقية خاصة في ما نقله من نصوص ومعاهدات ومراسلات رسمية، في الصفحات: 180 و336-337 و420-430 على سبيل المثال لا الحصر.

والثقافة في عصره، وملاحظته على بعض الفقهاء ورجال الدين إعراضهم عن المؤلفات العصرية قائلاً:

> "ويمقت بعض الفقهاء مطالعة الجرائد والمجلات العلمية، ويكرهون جميع الكتب العصرية على اختلاف أنواعها ومشاربها، ويسمون أصحابها مبتدعة لخروجهم في التأليف عما ألفوه من قديم، ويغالي بعضهم بتكفير من يقرأها وتفسيقه، ولكن حوادث القرن الحاضر لطفت بعض الشيء من حدتهم، وفتحت بعضاً من أبصارهم وبصائرهم، وجعلتهم ينظرون إلى هذه الجهود بغير نظرتهم السابقة."[113]

وقد قام عبد الرحمن الشقير بتقديم دراسة وافية لكتاب **قلائد النحرين**، وفصل في ذكر أهم مميزاته، بالإضافة إلى ملاحظاته التي تتلخص في وجود العديد من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية فضلاً عن الأخطاء التاريخية.[114]

ولابد من التنبيه إلى أن الأهمية التاريخية للكتاب تنبعث من كون المؤلف قد عاصر حقبة مهمة من تاريخ البحرين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهو بذلك مصدر أصيل لأحداث هذه الفترة، أما المراحل التي سبقت عصر المؤلف فإن أهمية الكتاب تكمن في التعليقات التي أوردها المصنف على بعض هذه الأحداث، ونظراً لأن المسودة التي عثر عليها الشقير لم تكن جاهزة للطبع بالصورة التي كان يرتضيها الخيري؛ فإنه قد ورد في ثنايا الكتاب عدد من المساحات الفارغة، والتي كان المصنف قد تركها لاستكمالها في مرحلة لاحقة.[115] كما أخذ عليه عدم التوسع في الحديث عن عهد الشيخ عيسى بن علي مع أنه كان شاهداً على معظم أحداث حكمه، حيث عاصر الخيري (خلال الفترة الممتدة ما بين ولادته سنة 1876 ووفاته سنة 1925) مرحلة هامة في تاريخ البحرين ولكنه لم يوف هذه المرحلة حقها في كتابه، وبالأخص منها الربع الأول من القرن العشرين.

ولعل طول فترة غياب **قلائد النحرين**، ومن ثم الصيغة التي نشر فيها الكتاب بخط المؤلف دون أي تحقيق يذكر، قد كان من ضمن الأسباب التي حدت من انتشاره واستفادة الباحثين منه بالمقارنة مع **التحفة النبهانية** و**عقد اللآل**، ولا شك بأن مشروع إعادة نشر الكتاب في نسخة مطبوعة ومحققة سيسهم في إثراء البحث التاريخي المعاصر.

---

[113] الخيري (2003) مصدر سابق، ص 11.

[114] المصدر السابق، ص.ص أ-ع.

[115] انظر الصفحات 13 و289 من **قلائد النحرين**، على سبيل المثال لا الحصر.

= محمد علي التاجر؛[116] **عقد اللآل في تاريخ أوال**:

كانت مشكلة فقدان النسخة الموسعة من كتاب ناصر الخيري هي المأخذ الأساسي الذي أخذه محمد علي التاجر على كتاب الخيري عندما شرع في تصنيف كتابه **عقد اللآل في تاريخ أوال**، حيث أشار إلى أن سابقه الخيري قد بذل جهداً كبيراً في تصنيف كتابه، ولكن:

"نقول والأسف ملأ جوانحنا إننا لم نقف إلا على بعض مسوداته الأولى".[117]

وقد كان موقف التاجر تجاه **التحفة النبهانية** أكثر حدة من سابقه، حيث أشار إلى أنه على الرغم من الاعتراف بفضل السبق للنبهاني في تدوين تاريخ البحرين إلا أنه:

"لم يسلم في تأليفه من مواضع الانتقاد كحشوه بالتملقات الغير لازمة في مثل هذا الفن الذي يجب تنـزيهه، وبعض الأغلاط التاريخية، وتشويه بعض الحقائق سواء كانت عمداً أو سهواً".[118]

ونتيجة لذلك فقد عكف التاجر على تأليف **عقد اللآل** محاولاً تصحيح ما وجده من أخطاء في كتاب النبهاني، حيث حرص على استيفاء تاريخ البحرين القديم متتبعاً نسق الخيري في هذه الفترة، ثم عرج على تاريخ البحرين الإسلامي مبدياً جملة من التحفظات على ما ذكره "ابن نبهان"، ومن ذلك تشكيك التاجر في صحة نسبة بناء مسجد الخميس إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز،[119] ومن ثم توقفه عند مرويات ردة أهل البحرين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث رأى التاجر بأن غالبية أهل البحرين قد ثبتوا على إسلامهم، ولكنهم:

"عارضوا الخلافة التي تمت على غير ما يرون."[120]

---

[116] محمد علي بن أحمد بن عباس التاجر: ينتسب إلى بيت من بيوت العلم في البحرين، درس في مطلع حياته لدى بعض المعلمين، وتنقل مع والده ما بين البحرين والهند حيث كان والده من كبار تجار اللؤلؤ، إلى أن استقر به المقام في البحرين عام 1911 حيث فتح مكتبة وجعلها ملتقى أدباء المنامة، كما كان أحد أعضاء مجلس إدارة المدرسة الجعفرية لدى تأسيسها عام 1946، ويعد من مؤسسي دائرة الأوقاف الجعفرية ودائرة أموال القصر. توفي سنة 1967. انظر: محمد علي التاجر (1994) **عقد اللآل في تاريخ أوال**، إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين. ص.ص 5-7.

[117] المصدر السابق، ص 12.

[118] المصدر نفسه، ص 12.

[119] المصدر نفسه، ص 31.

[120] المصدر نفسه، ص 73.

ولدى الحديث عن تاريخ البحرين الحديث، يعتمد التاجر نسق النبهاني في سرد أحداث الفترة الحديثة ولكنه يعمد إلى حذف العبارات التي تنتصر لجهة دون أخرى أو تذكر خصوم العتوب بشيء من النقد أو الانتقاص، كما يضيف بعض التواريخ والملاحظات على ما أورده النبهاني.

ويتميز التاجر عن سابقيه (النبهاني والخيري) بتفصيل أحداث سنة 1923، والتي اندلع فيها الخلاف بين الشيخ عيسى بن علي والوكيل المعتمد كلايف ديلي، معتمداً في ذلك على ما أورده أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب،[121] وليس على روايته الشخصية للأحداث.

ولا تختلف قصة العثور على **عقد اللآل** كثيراً عن قصة العثور على **قلائد النحرين**، فقد ذكر مقدم الكتاب ومعده: إبراهيم بشمي بأنه قد عثر على مخطوط الكتاب بعد جهد طويل لدى أحد المهتمين بأدب وتاريخ المنطقة في مجلس من مجالس الثقافة والأدب في الشارقة، وقد تولت مؤسسة الأيام نشره عام 1994. ويعتبر **عقد اللآل** من أهم الكتب التي ألفها محمد علي التاجر، ويبدو أن الكتاب قد طبع عن مسودة لم يكملها المؤلف لأسباب مجهولة، حيث لاحظ المقدم بأن التاجر قد دون العديد من التواريخ التي ترك عندها فراغاً ولم يستكملها على الرغم من أنه عاش لفترة طويلة بعد إنجاز مسودة الكتاب.

وقد رتب المصنف مواضيع كتابه في فصول وأبواب عديدة، معتمداً تقسيم الخيري في الحديث عن جغرافية البحرين، ومن ثم التفصيل في تاريخ البحرين القديم والإسلامي، ويفرد القسم الرابع للحديث عن تاريخ البحرين منذ تولي آل خليفة الحكم مع خاتمة حول أحداث عام 1923.

وقد اعتمد التاجر في كتابه على عدة مصادر من أهمها:

---

[121] قام أمين الريحاني برحلة في أنحاء الجزيرة العربية خلال عام 1922، شملت: الحجاز والعسير واليمن ولحج ونجد والحجاز والكويت والبحرين وعربستان والعراق، وقد أفرد للبحرين حوالي 90 صفحة من كتابه، تحت ستة عناوين رئيسة تعرض من خلالها للحديث عن تطور مهنة الغوص وفصل في تاريخ البحرين الإسلامي والحديث وخاصة فترة حكم آل خليفة، ثم عرج على الأوضاع السياسية والثقافية في البحرين في مطلع القرن العشرين، وقد قابل الريحاني أثناء إقامته في البحرين الشيخ عيسى بن علي وعدداً من وجها البحرين وأدبائها، وقدم وصفاً ممتعاً لمدنها وأسواقها والحركة العمرانية فيها، وتحدث عن وجود نهضة أدبية واجتماعية فيها من خلال ما شاهده في مجالس الثقافة والأدب. أمين الريحاني (1924) **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت.

- ما دونه أخوه الشيخ عباس بن سلمان (ت 1925) الذي: "لبث مدة مديدة لا يمر بشاردة ولا واردة تتعلق بالموضوع إلا قيدها".
- ما دونه: "حضرة الأديب الفاضل المحقق المدقق المرحوم ناصر بن مبارك الخيري، فإنه والحق يقال قد أجهد نفسه من سنين في تأليف تاريخ البحرين وتوخى فيه التحقيق والتدقيق والتنبؤ، فأجاد وأفاد".
- ما كتبه: "صاحب السبق، واضع حجر الأساس فضيلة الشيخ محمد بن خليفة النبهاني المكي، حيث فاز بالسبق في تأليف تاريخ البحرين، وإن لم يسلم في تأليفه من مواضع الانتقاد".[122]

إلا أن المقارنة بين ما كتبه التاجر من جهة، وبين النبهاني والخيري من جهة أخرى تدفعنا للتنبيه إلى أن مصنف **عقد اللآل** قد التزم طريقة مختلفة في التصنيف؛ حيث تتسم غالبية فقرات الكتاب بالنقل الحرفي من النبهاني والخيري والريحاني، دون تحديد الصفحة أو الفقرة التي تم اقتباسها، ومن ثم يضيف التاجر عبارات من عنده للتفصيل أو التصويب، مما يؤدي إلى وقوع لبس لدى القارئ بين ما هو منقول عن مصادر أخرى وما هو من إضافة التاجر أو تصويبه. وكما هو الحال لدى الخيري فقد ترك التاجر الكثير من المساحات الفارغة في كتابه دون أن يستكملها،[123] ويعود السبب في ذلك إلى أن الكتاب لا يتعدى أن يكون مسودة كان التاجر يمني نفسه بتبييضها ولكن لم يتم له ذلك، ونتيجة لتكرر الاقتباس من سابقيه فإن المتتبع لما ورد في **عقد اللآل** يلاحظ بأن التاجر لا يقدم الكثير من المادة الإضافية على ما أورده النبهاني والخيري، إلا في ملاحظات يسيرة، بل إن ما يضيفه في كثير من الأحيان لا يعدو الرجوع إلى بعض مرويات (يضعفها بنفسه بعد سردها) حول الفترة الأموية في البحرين،[124] ومرويات أخرى مجهولة المصدر يمكن تصنيفها ضمن تراث القصص الشعبي الذي لا يرقى إلى مستوى الرواية التاريخية.

ومع أن مادة **عقد اللآل** قد اعتمدت بصورة كبيرة على **قلائد النحرين**، ووقع كاتبها في معظم الأخطاء التاريخية التي وقع فيها سابقه، إلا أن التاجر يتميز بمنهج مختلف بعض الشيء؛ فهو لا يهتم بنفس القدر من التعليق على الأحداث كما كان يفعل ناصر الخيري، بل يعتمد أسلوب السرد بصورة أكبر، وتزداد أهمية الكتاب

---

[122] التاجر (1994) مصدر سابق، ص.ص 11-12.

[123] انظر ص.ص 19-20 و26-27، من **عقد اللآل** على سبيل المثال لا الحصر.

[124] حيث ينقل المصنف قصة حول مقاتلة عبد الملك بن مروان لأهل البحرين، ومن ثم يقتبس تعليق الشيخ يوسف البحراني بأن هذه الرواية: "لا تخلو من ركاكة في التعبير وخلل في التحبير". المصدر السابق، ص.ص 38-39.

كمصدر أصيل لتاريخ البحرين المعاصر وخاصة لدى الحديث عن عهد الشيخ عيسى بن علي، كما ينفرد التاجر بالاعتماد على مصادر أخرى لم يرجع إليها النبهاني والخيري من أهمها: كتاب أمين الريحاني: **ملوك العرب**، وكذلك مؤلفات يوسف البحراني،[125] واقتباسه من ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي.[126]

عمدت هذه الدراسة إلى مقارنة ثلاثة من المصنفات التاريخية التي ظهرت في البحرين إبان الربع الأول من القرن العشرين، وتحديد طبيعة العلاقة بينها، والعوامل التي دفعت بمصنفيها لبذل هذه الجهود العظيمة التي خلدت أسمائهم بين أبرز مؤرخي البحرين في تاريخنا المعاصر، ويمكن القول بأن هذه الجهود -على الرغم من أهميتها- قد اعتمدت بصفة أساسية على كتب التراث والروايات الشفهية دون الاستفادة مما كان متاحاً من مجموعات وثائقية،[127] وذلك على الرغم من اعتراف النبهاني بأن الشيخ عيسى بن علي قد فتح له مجال الاستفادة من الوثائق المتوفرة لدى حكومة البحرين آنذاك. وباستثناء بعض الاقتباسات المحدودة في كتاب الخيري فإن جهد توثيق مادة المصنفات التاريخية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين كان محدوداً للغاية.

---

[125] نشر ليوسف بن أحمد الدرازي البحراني (ت 1773) كتابي: **لؤلؤتي البحرين في الإجازة لقرتي العين**، الذي يحتوي على تراجم وأسانيد لعدد من علماء البحرين وطبع في مطبعة النجف سنة 1966، وكتاب **الكشكول**. لمزيد من المعلومات حول مؤلفات البحراني انظر: علي أبا حسين: "حركة التأليف في البحرين"، **الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة**، مركز دراسات الخليج العربي، 1977، ج1، ص.ص 270-297.

[126] كان عبد الجليل الطباطبائي من أهم رجال السياسية في عهد الشيخين سلمان وعبد الله، فقد ظهر اسمه في المصادر العمانية كأحد رجال الوفد المفاوض لسلطان مسقط، كما ورد اسمه في الوثائق البريطانية عام 1820 عندما وقع معاهدة السلام العامة في صيغتها الأولية نيابة عن حاكمي البحرين، وقد نشر له ديوان شعر عام 1964، بعنوان: **روضة الخل والخليل**، تحقيق ياسين الشريف. لمزيد من التفاصيل حول ديوان شعر السيد عبد الجليل انظر: عبد الزهراء العويناتي (1998) "البحرين والزبارة تواريخ وأحداث، ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي"، **الوثيقة**، ع 34، يوليو 1998، ص. ص 14-27.

[127] أهم المجموعات الوثائقية التي كانت متاحة آنذاك: مجموعة س. لو في **تاريخ البحرية الهندية**، والذي كان مصدر معلومات هام عن النشاط البحري البريطاني في الخليج العربي، وكذلك مجموعة نويل ساينزبري الوثائقية التي تغطي الفترة (1878-1884)، وسجلات شركة الهند الشرقية التي نشرها فوستر وبيردوود سنة 1889. فضلاً عن ملخص الخليج لسلدانها خلال الأعوام 1903- 1908، ودليل الخليج الذي نشره لوريمر لأول مرة سنة 1908.

وعلى الرغم من أهمية الكتابات التاريخية في البحرين في مطلع القرن العشرين كمصادر أساسية لكتابة تاريخ البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي، إلا أن يد البحث العلمي لم تطلهما بكثير من العناية والاهتمام، حيث إن هذه المصادر قد نشرت في طبعات غير محققة، وتحتاج إلى بذل جهد كبير يهدف إلى تحقيق التوازن بين المصادر الغربية التي بذل أصحابها عقوداً طويلة في جمعها وتحقيقها ونشرها، وبين المصادر المحلية التي لا تزال تعاني إلى حد كبير من الإهمال والنسيان، ولا يزال الأمل معقوداً في صدور مؤلفات جديدة في تاريخ البحرين تحقق الاستفادة الكاملة من هذه المصادر وتعطيها حقها العلمي المنشود.

لقد كانت الامبراطورية البريطانية تدعم إصدار أعمال تاريخية من خلال جهود مؤسسية ضخمة تهدف إلى تخليد ذكر الوجود البريطاني في الشرق، بينما كانت -ولا تزال- أغلب المصنفات التاريخية المحلية تعتمد على جهود فردية، وما أحوج البحرين، مع إطلالة القرن الواحد والعشرين، إلى جهد مؤسسي مواز يجمع شتات المصادر والمؤلفات التاريخية وكتب التراث، في سفر علمي مؤصل يهدف إلى تحقيق المواكبة بين حركة النهضة المعاصرة مع التوثيق التاريخي لها في جهد أكاديمي يرسخ الهوية الوطنية ويخلد هذه الفترة الهامة في صحائف التاريخ.

مصادر ومراجع البحث:

- أمين الريحاني (1924) **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت.

- راشد بن فاضل البنعلي (2001) **مجموع الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل**، تحقيق حسن بن محمد بن علي آل ثاني، بدر للنشر، بيروت.

- عبد الزهراء العويناتي (1998) "البحرين والزبارة تواريخ وأحداث، ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي"، **مجلة الوثيقة**، ع 34، يوليو 1998، ص. ص 14-27.

- عثمان بن سند البصري (1897) **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، بومبي.

- عثمان بن عبد الله بن بشر (1982) **عنوان المجد في تاريخ نجد**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

- علي أبا حسين: "حركة التأليف في البحرين"، **الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة**، مركز دراسات الخليج العربي، 1977، ج1، ص.ص 270-297.

- مبارك الخاطر (1982) **ناصر الخيري الأديب الكاتب**، وزارة الإعلام، البحرين.

- محمد بن خليفة النبهاني (2004) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع المكتبة الوطنية بالبحرين.
- محمد علي التاجر (1994) **عقد اللآل في تاريخ أوال،** إعداد وتقديم إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.
- ناصر بن جوهر بن مبارك الخيري (2003) **قلائد النحرين في تاريخ البحرين،** تقديم ودراسة عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين.
- يوسف بن أحمد الدرازي البحراني (1966) **لؤلؤتي البحرين في الإجازة لقرتي العين،** مطبعة النجف.
- ـــ (د.ت) **الكشكول** (د.ت)، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.